دراسات

عقيدة العصمة في الفكر الديني ودورها في كشف خصوصية التفكير بين الديانات السماوية

الأستاذ الباحث

يحيى ابن عبد الوهاب

Received: 8/ 3/ 2024
Revised: 19/ 3/ 2024
Accepted: 1/ 4/ 2024
Published: 25/ 4/ 2024

يحيى ابن عبد الوهاب
باحث في سلك الدكتوراه
جامعة عبد المالك السعدي بتطوان
yahya.benabdelouahab@gmail.com

عقيدة العصمة في الفكر الديني ودورها في كشف خصوصية التفكير بين الديانات السماوية

الملخص:

تشتغل هذه الدراسة بعقيدة العصمة حيث تتأسس فرضيتنا الرئيسية على أن تقرير هذه العقيدة ترتب عنه تغييرات جذرية في جوهر الديانة اليهودية والمسيحية وقد لاقى ذلك اعتراضا شديدا داخليا من قبل بعض اللاهوتيين والفلاسفة وخارجيا من قبل العلماء المسلمين الذين اهتموا كثيرا بهذه المسألة جراء تداعياتها الكبيرة على حرية المجتمعات وتقييد تفكيرها وربط مصيرها ونجاحها برضا رجال الدين الأمر الذي رأو فيه خروجا عن تعاليم الديانات السماوية، وهكذا فإن الشرخ القائم بين الديانات الثلاث في مسألة العصمة ما هو في المقام الاول إلا اختلاف رؤيتهم لحرية التفكير وكيفية تقرير الفرد لمصيره، معززين طرحنا أن الاختلاف في هذه المسألة أسهم مباشرة في نشوء تيارات دينية وفكرية جديدة في أوروبا. وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور خصصنا المبحث الأول للحديث عن العصمة في الديانة اليهودية والمسيحية أما المحور الثاني فقد استعرضنا فيه ردود العلماء المسلمين على هذه المسألة وانعكاس ذلك على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية بالغرب الإسلامي وفي الأخير سلطنا الضوء على دور مسألة العصمة في كشف الخصوصيات بين الديانات السماوية.

الكلمات المفتاحية:

العقيدة، العصمة، الصمة عند اليهود، العصمة عند المسيحيين.

Abstract:

This study revolves around the doctrine of infallibility, with our main premise being that the interpretation of this doctrine leads to fundamental changes in the essence of Judaism and Christianity. This has faced significant internal opposition from theologians and philosophers, as well as external opposition from Muslim scholars who have shown great interest in this issue due to its substantial implications on the freedom of societies, the restriction of their thinking, and tying their destiny and success to the satisfaction of religious authorities. This has been perceived as a deviation from the teachings of the divine religions. The existing rift between the three religions regarding the doctrine of infallibility primarily reflects their differing perspectives on the freedom of thought and how individuals determine their destiny. The study emphasizes that the divergence in this matter directly contributes to the emergence of new religious and intellectual currents in Europe. The study is divided into three main axes. The first section is dedicated to discussing infallibility in Judaism and Christianity. The second axis reviews the responses of Muslim scholars to this issue and its impact on cultural, scientific, and intellectual life in the Islamic West. Finally, the study sheds light on the role of the doctrine of infallibility in unveiling the distinctions between the Abrahamic religions.

Key words:

Doctrine, infallibility, Jewish infallibility, Christian infallibility.

مقدمة

تشتغل هذه الدراسة بعقيدة العصمة حيث تتأسس فرضيتنا الرئيسية على أن تقرير هذه العقيدة ترتب عنه تغييرات جذرية في جوهر الديانة اليهودية والمسيحية ولاقى ذلك اعتراضا شديدا داخليا من قبل بعض اللاهوتيين والفلاسفة وخارجيا من قبل العلماء المسلمين الذين اهتموا كثيرا بهذه المسألة جراء تداعياتها الكبيرة على حرية المجتمعات وتقييد تفكيرها وربط مصيرها ونجاحها برضا رجال الدين الأمر الذي رأو فيه خروجا عن تعاليم الديانات السماوية، وهكذا فإن الشرخ القائم بين الديانات الثلاث في مسألة العصمة ما هو في المقام الاول إلا اختلاف رؤيتهم لحرية التفكير وكيفية تقرير الفرد لمصيره، معززين طرحنا أن الاختلاف في هذه المسألة أسهم مباشرة في نشوء تيارات دينية وفكرية جديدة.

تعد عقيدة العصمة من القضايا التي أثارت اهتمام علماء اللاهوت في القرون الوسطى، فمسألة العصمة من القضايا الجوهرية التي ناقشها علماء تلك العصور نظرا لدورها المركزي في تحديد منزلة العقل والفكر عند كل دين، وفي هذا السياق لم يتوان العلماء المسلمون بالمغرب والأندلس من بسط وجهات نظر الدين الإسلامي في هذه المسألة الخلافية إذ بدورهم أثاروا هذه المسألة بشكل كبير وتناولوه بطرق متعددة مفندين نظرية الديانتين اليهودية والمسيحية في هذه القضية..

في هذه الورقة البحثية سنحاول تسليط الضوء على عقيدة العصمة في الدين اليهودي والمسيحي من خلال تناول أبرز نصوصهم الدينية المعتمدة في المسألة، ومن ثم دراسة ردود علماء المغرب والأندلس على هذه القضية والمناهج المعتمدة من قبلهم ومعرفة مدى اهتمامهم بعقيدة العصمة من عدمه حتى نتمكن بالنهاية من كشف إشكالية مهمة لها ارتباط بالفروق الجوهرية في طريقة تفكير كل دين ومنزلة العقل داخلها وأثر ذلك فيما بعد على المجتمعات الدينية، وسيكون ذلك من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول: العصمة في الديانة اليهودية والمسيحية

المبحث الثاني: أثر العصمة على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية في الغرب الإسلامي

المبحث الثالث: مسألة العصمة ودورها في كشف الخصوصيات بين الديانات الثلاث

المبحث الأول: العصمة في الديانة اليهودية والمسيحية

المطلب الأول: العصمة في الديانة اليهودية

في مستهل هذا المحور نجد أن التوراة أمرت بطاعة الأئمة والحكام، حتى وإن لم يكونوا أنبياء، شريطة عدم مخالفتهم لأحكام التوراة، وتعتقد الديانة اليهودية أن العصمة إنما تكون لنبي مرسل، وفيما عدا ذلك هنالك شك[1]. لكننا إذا تمعنا جيدا في بعض النصوص الدينية اليهودية نجد صورا تناقض عصمة أنبياء بني إسرائيل، حيث تمادى بنو إسرائيل في نسب صفات خاطئة عديدة إلى أنبيائهم تشكك في الاختيار الإلهي لهم، وفي كونهم قدوة بشرية وذلك نتيجة للخلط في مفهوم النبوة. سنقف فيما يلي على أهم النصوص التي تحمل في ثناياها عبارات ومعاني مناقضة تماما لمفهوم العصمة

أ- أقوال الديانة اليهودية المنتقصة لعصمة الرسل

وردت عدة نصوص تنتقص من شأن الأنبياء والرسل وتنسب إليهم بعض القبائح، مما يؤدي إلى الطعن في نبوتهم، وفيما يلي سنعرض باختصار بعض الرسل والأنبياء الذين أخذوا قدرهم من هذه الأوصاف.

١- هارون

جاء في التوراة أن هارون صانع العجل لبني إسرائيل عند ذهاب موسى للقاء ربه، ففي سفر الخروج جاء: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في أذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل

الشعب أقراط الذهب التي في أذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بني مذبحا أمامه ونادى هارون وقال غدا عيد الرب، فبكروا في الغد وأصعدوا محروقات وقدموا ذبائح سلام وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب»[٢].

من خلال هذا النص نستنتج أن بني إسرائيل قد نسبوا الشرك لهارون عبر اتخاذه العجل إلها، فهارون حسب هذا المقطع هو الشخص المتسبب في شرك بني إسرائيل بالله تعالى، وهارون أيضا هو الذي يتحمل الوزر الأكبر لهذا العمل الذي فيه مخالفة صريحة لأوامر وتعاليم أخيه موسى عليه السلام.

٢- سليمان

لم يقتصر الشرك على هارون، بل امتد ليصل إلى سليمان الذي مال قلبه عن إلهه إلى آلهة أخرى كانت نساؤه تعبدها دون الله، ففي سفر الملوك الأول نقرأ عن سليمان: « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون قوابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتكم فالتصق سليمان بهؤلاء المحبة وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاثة مائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا

مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتوت إله الصيدونيين ومكلوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه، حينئذ بنى سليمان مرتفعة الكموتس رجس الموآبين على الجبل الذي نجاه أورئليم ولملوك رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتن فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب»[٣].

التأمل المتمعن لما ورد في سفر الملوك يقول بأن سليمان عبارة عن شخص شهواني محب للنساء اللواتي تسببن له الوقوع في عبادة آلهة وثنية ومخالفة أوامر الرب، وهذا القول يخول لصاحبه القول بأن سليمان وقع في معصية كبرى وهي معصية الشرك بالله في أواخر حياته.

٣- نوح

إذ نعتوه بالمعصية وبعض الألفاظ البذيئة، ورد سفر التكوين:«وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كعنان عورة أبيه واخبر أخويه خارجا فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته وقال مبارك إله سام وليكن كنعان عبدا لهم ليفتح الله اليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم»[٤].

ظاهر هذه الرواية أن نوحا شرب الخمر وتعرى وأن حامًا لم يستر عورة أبيه ومن ثم دعا نوح على كنعان وهو واحد من أبناء حام. وبذلك لم يكن حال نوح مختلفا عن حال هارون وسليمان فنوح بدوره قد ارتكب معاصي كبرى .

٤- لوط

وصفت التوراة لوط بالسكر والزنا بابنتيه، فجاء في سفر التكوين: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر منه ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبين إلى اليوم والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم »[٥].

بناء على ما تقدم فإن سفر التكوين يقرر أن لوطا لم يكن أفضل حالا من قومه، وهي بذلك تضعه في ميزان متساو مع قومه الذي لحقهم عذاب عظيم بسبب ذنوبهم المتكاثرة.

٥- داود

لم يكن حال داود في التوراة أحسن حالا من الأنبياء الذين سبقوه، إذ اتهمه اليهود أيضا بالزنا ففي سفر صموئيل الثاني نجد: « وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود أني حبلى»[٦].

بعد جرد هذه النصوص يمكننا القول أن نصوص الدين اليهودي، نعتت أبرز الأنبياء والرسل بأبشع الأوصاف التي تتعارض مع من يتصف بالعصمة فالزنا والشرك بالله واتباع الهوى أمور يشترك فيها كل عاص مخالف لأوامر الله. فهل الأمر ذاته ينطبق على الحاخامات اليهود؟ هذا ما سنتعرف عليه في المحور التالي.

ب- عصمة الحاخامات

المقصود بالحاخامات، الأحبار والفقهاء والكهنة، ويراد بهم على وجه الإجمال رجال الدين الذين لهم حق التشريع فيحللون ويحرمون ويغيرون ويبدلون[٧] .

وللحاخامات دور محوري في الديانة اليهودية، إذ هم الذين قاموا بتأليف التلمود وما فيه من تعاليم، ويعتقد اليهود أن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء، وذكر في التلمود أن الحاخامات المتوفين مكلفون بتعاليم المؤمنين في السماء، وجاء في كتاب

يهودي اسمه كرافت مطبوع في سنة ١٥٩٠ «اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء»[٨].

ويرى الفكر الديني اليهودي أن أقوال الحاخامات هي الشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال لك الحاخام أن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله فما بالك إذ قال لك أن اليمنى هي اليمنى واليسرى هي اليسرى[٩].

وفي ذات السياق نجد أحد علماء اليهود يقول: (مخافة الحاخامات هي مخافة الله)[١٠].

ويضيف الحاخام مناحم قائلا في أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها: (أنها كلام الله مهما وجد فيها من التناقض فمن لم يعتبرها أو قال إنها ليست أقوال الله فقد أخطأ في حقه تعالى وذكر في كثير من اليهود أن أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها منزلة من السماء ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير)[١١].

ربما تعزى هذه الأقوال الحاخامية لما ورد في التلمود صحيفة ٧٤ من أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، فاليهود يرون أنه وقع يوم ما خلاف بين الباري وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربيّن واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور، وهذه العصمة لا تختص فقط بالحاخامات بل بكل ما يتعلق بهم أيضا، فقيل أن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئا محرما، وجاء أيضا في كتاب شاغيجا من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود[١٢].

لم تقتصر تداعيات إدعاء الحاخامات بالعصمة فقط على هذه المناحي، فإدعاء الحاخامات بالعصمة أدى إلى تطور عميق في العقيدة اليهودية، فقاموا بدمج الحس العقدي بالحس السياسي، فبنو إسرائيل يرون أن العودة للعقيدة اليهودية تمر بالعودة إلى الروح المتوثبة نحو استعمار القدس، الرمز الذي كان فيما سبق مجدا لبني إسرائيل وملكهم حسب التوراة، وبالتالي أصبح الحاخامات والكهنة زعماء دينيين وسياسيين، فهم يشرعون ويوجهون الجمهور في القضايا السياسية والدينية، وقد اعتمدوا في هذا على نصوص وردت في التوراة أشارت

إلى فقدان شعب بني إسرائيل للأنبياء، إذ جاء فيه « آياتنا لا ترى، لا نبي بعد، ولا بيننا من يعرف حتى ومتى »[١٣].

بعد هذا العرض يحق لنا معرفة موقف يهود المغرب والأندلس من عقيدة العصمة هل كان مؤيدا كليا للمواقف السابقة أم اتخذ موقفا وسطا في هذه المسألة أم العكس اجتر أفكارا جديدة، سنناقش هذه القضية من خلال معرفة آراء كل من ابن ميمون ويهوذا هليفي في هذه القضية.

ت- فكر ابن ميمون في موضوع العصمة

شكل موسى بن ميمون ذروة التفكير الديني اليهودي في القرون الوسطى عبر كتابه دلالة الحائرين، الذي خصص الجزء الأول منه للحديث عن ماهية الله وكيفية إدراكه وتوحيده، وقد افتتح كتابه بمجادلة عنيفة للذين يصفون الله بالأوصاف المادية، كما تناول في الجزء الثاني من كتابه مفهوم النبوة وماهيتها وحقيقتها، وفي ثنايا كلامه يمكن معرفة موقفه من قضية العصمة التي حصرها في الأنبياء، وبالأخص نبي الله موسى*، وفي قضاة بني إسرائيل، الذين تصحبهم معونة إلهية تمنعهم من الوقوع في الأخطاء والمعاصي*.

وقد ورد في هذا الكتاب بحث مفصل في منزلة المعتزلة والأشعرية، مما يدل على أن موسى بن ميمون درس المذاهب الإسلامية على العموم دراسة وافية، وكان له إلمام بالفلسفة العربية، ينذُر أن تتوفر في شخص آخر من أحبار اليهود في القرون الوسطى[١٤] .

وقد أدى هذا الانفتاح إلى تنشيط الحركة الفكرية في عصره، إذ تلقت كتاباته بالقبول والرفض، فموسى بن ميمون لم يوافق العقائد اليهودية بإطلاق في عدة مسائل من بينها قضية العصمة، ومعلوم أن الديانة اليهودية تقول بعصمة بني إسرائيل وجميع الحاخامات كما رأينا سابقا ويصفون بعض الأنبياء بأوصاف تسقط العصمة عنهم، وبسبب مواقف ابن ميمون المعارضة لهذه الأفكار، قامت حملات ضده إلى حد أن بعض رجال الدين اليهود حرّموا قراءة كتبه، واعتبروا

أن بعض ما جاء في هذه الكتابات نوع من الزندقة والكفر بالعهد القديم والتلمود، فأفتوا بإحراق كتبه خاصة دلالة الحائرين.

لقد كان تأثير ابن ميمون في الدين اليهودي تأثيرا انقلابيا، إذ رفض القصص التي وردت في العهد القديم، وقال أنها غير صحيحة من الوجهة التاريخية [١٥].

وقد اعتبر العديد من اليهود أن أفكار ابن ميمون تأسس لنظريات معادية لأسس الدين اليهودي، ففكر ابن ميمون أنتج في القضايا العقدية ثورة عنيفة بين اليهود، وبدأ أمر الفتنة في أخريات أيامه، ثم اشتدت بعد وفاته، وكان زعيم المتمردين على فكره الحبر سليمان بن إبراهيم من مدينة مونبيليه يعاونه اثنان من كبار تلاميذه الذين اتصلوا برؤساء الدين من اليهود في شمال فرنسا، وأظهروا السخط على كل من يدرس فكره وكتابه لأنها مبنية على تأويل نصوص التوراة وأراء التلمود[١٦].

وبهذا يكون لابن ميمون وأفكاره العقدية أثرًا عميقا في أفكار اليهود بما فيهم يهود الغرب الإسلامي، إذ أصبح عماد الاسترشاد لكل من يدرس كتب الدين.

ث- فكر يهوذا هليفي في موضوع العصمة

تصنف الفترة التي عاش فيها يهوذا هليفي* من الفترات الذهبية لليهود ببلاد الأندلس، ويعد كتابه الحجة والدليل في نصر الدين الذليل، انعكاسا لهذه الفترة، فالمنهج الذي اتبعه يهودا في كتابه هو منهج الحوار بدل المناجاة، فلم يقم بنشر أفكاره وتعاليمه بشكل تقليدي[١٧]، ومن ذلك كيفية مناقشته لموضوع العصمة، حيث أتت وجهة نظره في هذا الموضوع مغايرة تماما لباقي الحاخامات اليهود، فقد حاول نفي اتهام اليهود للأنبياء بارتكاب المعاصي* والكبائر وعدم عصمتهم*، ورأى أن العقل الفعال رتبة يمكن أن يحصل إليها أي شخص[١٨]*، ونجد يهودا هليفي قد تناول هذه القضية من خلال استحضار الحكم والأمثال والإشارات الموجودة في التلمود، وهو بذلك يحاول القطع مع العلوم العقلية

اليهودية، التي بدأت تنتشر بشدة منذ أوائل القرن الرابع الهجري على يد كل من إسحاق الإسرائيلي طبيب القيروان، وسليمان بن جبريول في كتابه ينبوع الحياة، ويحيى يوسف بن فاقودة في كتابه الهداية إلى فرائض القلوب، وموسى ابن ميمون في كتابه دلالة الحائرين، فمثّل هليفي بذلك تيارا محافظا يعطي الأولوية للنقل بدل العقل وللدين على الفلسفة، وللذوق والكشف والإلهام على النظر والاستدلال، وهذا التيار نجده منتشرا بكثرة في أوساط فرقة "القراؤون" الذين عاشوا في كنف المسلمين، ونجد أن هذا التيار قد رفض منح العصمة للحاخامات والقساوسة، وبذلك يكون يهوذا هليفي أحد المنافحين عن هذه الفرقة، وهنا يتبين لنا بوضوح مدى تأثر الفكر اليهودي في بعض جوانبه بالفكر الإسلامي، خاصة في الفترات التي شهدت استقرارا سياسيا وفكريا[١٩].

المطلب الثاني : العصمة في الديانة المسيحية

يعتقد النصارى بربوبية المسيح وألوهيته، وهذا يعني تلقائيا عصمته من الخطأ والذنوب، وقد لعب بولس دورا كبيرا في تقرير هذه العقيدة والحديث عن الصفات التي يتميز بها عيسى عليه السلام، فنجده يقول في رسالته إلى أهل رومية « يسوع المسيح ربنا لأجل إسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم، نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح [٢٠]»، ويقول أيضا: « بل نفتخر أيضا بالله بربنا المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا»[٢١].

كما نجده في رسالته إلى أهل كورنثوس «مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا، نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح حتى إنكم لستم ناقصين في موهبة ما وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح، الذي سيثبتكم أيضا إلى النهاية بلا لوم في يوم ربنا يسوع المسيح، آمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنة يسوع المسيح ربنا»[٢٢].

فهذه الأقوال الواردة على لسان بولس تنصّ صراحة على ربوبية المسيح وألوهيته. غير أن المسيحية تستدل إلى جانب أقوال بولس ببعض الأقوال الواردة في العهد القديم والإنجيل، فجاء في سفر إشعيا: « لأنه يولد لنا ولد ونعطى أبا

وتكون الربانية على كتفه ويدعى عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام[٢٣]»، ويستدلون أيضا بما قاله داوود « قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك »[٢٤].

أ- عصمة المسيح من الخطيئة والصفات الرديئة

استدل النصارى بعصمة المسيح من الخطيئة والصفات الرديئة بعدة نصوص، منها ما ورد في سفر أشعيا « ولم يكن في فمه غش»[٢٥]، وما ورد في رسالة بطرس الأولى: « الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر»[٢٦]، وهذا يعني أن المسيح امتاز بعدم وجود مكر في فمه، مما يفيد الطبيعة اللاهوتية فيه.

كما يحتجون أيضا بما ورد في المزمور: « أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك»[٢٧]، حيث ينسب النصارى هذا القول على المسيح، مما يجعل له ميزة على سائر الناس.

ومن النصوص التي اعتمد عليها الفكر الديني المسيحي للتأكيد على عصمة المسيح ما ورد في رسالة العبرانيين نقلا عن المسيح: «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس»[٢٨]، وأيضا ما جاء في رسالة بطرس الأولى: « بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح»[٢٩]، وبهذا يستخلص المسيحيون أن المسيح له ميزة على الناس لأنه كان بلا عيب فيه.

وفي رسالة العبرانيين ورد أيضا: « قد انفصل عن خُطاه»[٣٠]، ونفس المعنى تكرر في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثس: «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية لأجلنا لنصير تحت بر الله فيه»[٣١]. وجاء في إنجيل يوحنا أيضا قول المسيح: «من منكم يبكتني على خطية»[٣٢].

ويستخلص النصارى من مجموع النصوص السابقة ميزة خاصة على غيره وأنه معصوم عن الوقوع في الذنوب والمعاصي، لأنه امتاز أيضا بالاستقامة.

ب- **عصمة البابا**

تقرر عصمة البابا في مجمع روما سنة ١٨٦٩م، فكان من نتائج ذلك امتلاك البابا حق التشريع، وعصمته من الوقوع في الخطأ، فكل ما يصدر عنه لا يمكن مخالفته، والمخالف له كافر ملعون، وقد استندت الكنيسة في تقرير هذه السلطة على بعض النصوص الدينية التي تشير إلى أن المسيح قد أعطى القدرة لتلاميذه على إتيان المعجزات التي ورثت فيما بعد لرجال الدين، معتبرين في الآن ذاته أن نزول الوحي لم ينقطع برفع عيسى، وإنما هو متصل بتلاميذه وأتباعهم.

وتعود جذور هذه الفكرة في الفكر المسيحي لبولس، والمتصفح للأناجيل الأربعة ولأسفار العهد الجديد وخصوصا أعمال الرسل وبولس، يجد فكرة الملاك الذي يرشد المؤمنين ويتصل بهم والمعجزات التي ظهرت على أيدي تلاميذ المسيح تتردد كثيرا وبإلحاح، فرجال الدين أو الكنيسة عند المسيحيين لهم نفس القداسة والعصمة التي ليسوع المسيح، ومن هنا كان الخروج على طاعة الكنيسة ورجالها كفر بالمسيح والمسيحية، كما أن فكرة اتصال الوحي ونزوله على أتباع عيسى المبرر الذي يعتمد عليه المسيحيون في الأخذ بالعهد الجديد، واعتقاد ما فيه رغم أنهم جميعا يعترفون أنه ليس من وضع عيسى ولا إملائه، وإنما هو من وضع تلاميذه[٣٣].

ترتب عن إثبات عقيدة عصمة الباباوات انقسام حاد بين الطوائف الكاثوليكية ببلاد أوروبا والمشرق، فالذين خالفوا هذه العقيدة من أهالي أوروبا سموا نفسهم بالكاثوليكيين القدماء[٣٤]. فعقيدة عصمة البابا عرفت شدًّا وجذبًا داخل المؤسسة الكنسية، وهذا ما سأعرج على ذكره في تاريخ عصمة الكنيسة والباباوات.

ت - تاريخ عصمة الكنيسة والباباوات

أمر البابا بيوس التاسع بالتئام المجمع الفاتكاني سنة ١٨٦٩م بغرض اثبات عصمة البابا، وتاريخيًّا كانت مسألة العصمة مدار خلاف كبير بين

الباباوات، فهيبور الكاثوليكي البافاري على سبيل المثال يقول أنه في مدة ١٣ قرنا كان هناك سكوت غير مدرك من جهة عقيدة العصمة في عموم الكنيسة ومؤلفاتها، إذ إن جميع كتب قواعد الإيمان القديمة ومؤلفات الآباء ليس فيها كلمة واحدة ولا إشارة واحدة إلى أن تحديد الإيمان والتعليم متوقف على البابا[٣٥].

عند عقد المجمع الفاتكاني سنة ١٨٦٩م صرح عدد ليس بقليل من الأساقفة في فرنسا وألمانيا بمعارضتهم لتعليم العصمة، فطبع "ماري" الأسقف الفرنسي كتابا يبرهن أن تقرير هذه العقيدة يقلب أساسات الكنيسة قائلا: (أن الكنيسة حكم ملكي مقيّد ولكن إن تم هذا التحديد تتغير الكنيسة إلى حكم مطلق وحيث أن المبادئ الإلهية لا تتغير إذا تغيرت الكنيسة لا تعود تحسب إلهية فإن ثبتتا هذه العقيدة كيف تنتصر علينا أعداء الكنيسة وكيف تستشهد علينا تحديدات الأجيال ومضادة التعاليم وشهادة الكتب المقدسة والإباء والمجامع)[٣٦].

وقد انقسم الاسقافة إلى ثلاث أحزاب :

الأول مع نشر هذا التعليم الجديد، والثاني قدم عرضا للبابا ضد التعليم، أما الثالث اختار المساواة بينهما .

من الأساقفة الذين كتبوا كتابا يطلب إشهار العصمة الأسقف "بادربورن الجرماني" وقد لاقى هذا الكتاب اعتراف ٤١٠ أسقفا، في حين وصل عدد المعارضين له ١١٦٢ أسقفا منهم ١٢٠ أمريكيا و ٤٦ فرنسيا و ٢٧ ألمانيا ونمساويا و ٢٩ شرقيا و ٦ برتغاليين و ١٤ مجريا و ٣ إنجليزيون و ١٥ إيطاليا[٣٧].

إلى جانب الكتب المؤيدة لتقرير عقيدة العصمة، وجدت كتابات اختارت المساواة بين تقرير عقيدة العصمة من عدمه، كالكتاب الذي ألفه "أسقف بلتيمور" في أمريكا، كما صنفت أيضا كتب كان غرضها الأساسي دحض عقيدة العصمة ونورد في هذا السياق ما قاله الكردينال رئيس أساقفة فيناروشير الذي يحسب على هذا الخط المعارض إذ نجده يقول: (لا يحق لنا أن نجهل أن صعوبات كثيرة ناتجة عن عبارات أباء الكنيسة وأعمالهم وعن كتب التاريخ وعن التعليم الكاثوليكي لم تزل باقية ويجب تفسيرها تماما قبلها يسوغ لنا أن نقدم هذا التعليم

للشعب المسيحي كتعليم معلن من الله وإذ نحن الأساقفة الممارسين واجباتنا بين الممالك الكاثوليكية العظيمة نعلم حالتها من الاختبار اليومي نتحقق أن هذا التحديد المطلوب يعطي سلاحا لأعداء الديانة ويهيج حتى الناس الصالحين على الديانة ويعطي فرصة لحكومات ممالكنا للتعدي على الحقوق الباقية للكنيسة فنطلب أن تعليم العصمة لا يقدم لمناظرة المجمع)[٣٨].

لاقى كتاب رئيس أساقفة فيناروشير تأييد أكثر رؤساء أساقفة جرمانيا والنمسا، وخاصة رؤساء أساقفة براغ وكولونيا وميونخ وبمبرج وغيرهم، وأكدوا أن الوقت غير مناسب لنشر هذا التعليم، وضمن هذا السياق العام أكد العالم المسيحي "دولنكر" DOLNKR في حق طالبي تحديد العصمة أن هدفهم هو إجبار الشعب المسيحي تحت تهديد الحرم ومنع الأسرار والهلاك الأبدي، على أن يؤمنوا بما لم تؤمن به الكنيسة سابقا ولم تعتقده، مضيفا أن نشر هذه العقيدة سيحدث تغييرا في إيمان الكنيسة وتعليمها[٣٩].

لقد كانت قائمة المعارضين لتقرير عصمة البابا طويلة، فالكاردينال "روشر" Racher رئيس أساقفة فيينا والأسقف "هيغلي" من رتنبرج بدورهما طبعا كراريس ضد تحديد العصمة، غير أن هذه المعارضة لم تؤثر في باقي الأساقفة، فالفريق المؤيد لتقرير هذه العقيدة أبدوا صلابة شديدة، "كمانين" رئيس أساقفة لندرا، و"ديشان" رئيس أساقفة مالين، و"سيولدين" رئيس أساقفة بلتيمور، و"مرتين" أسقف بادربورن، و"يي" أسقف بوتير، و"حسون" بطريرك الأرمن الكاثوليك، حيث قدموا حججا كثيرة تؤيد تقرير هذا التعليم الجديد.[٤٠]

انبثق عن الجلسة التي عقدت في ١٣ يونيو سنة ١٨٦٠م، للنظر في شأن عصمة البابا من عدمه النتائج التالية:

- أصوات الارتضاء ٤١٥ صوتا.
- أصوات الارتضاء قليلا ٦٢ صوتا.
- أصوات عدم الارتضاء ٨٨ صوتا.

وقد طالب المصوتون لصالح إقرار العصمة، بإدخال ألفاظ صريحة تؤيد هذه العقيدة فقام "السيكما" في جلسة عمومية يوم السبت ١٦ يونيو بأخذ القرار الأخير في الجلسة الرابعة الجهارية للمجمع في ١٨ يونيو وكانت النتيجة على الشكل التالي:

- أصوات الارتضاء ٥٦٤ صوتا.
- أصوات عدم الارتضاء ٦ أصوات.
- ومائة وستة " ١٠٦ " غائبون، منهم بسبب المرض، ولكن الجانب الأعظم بسبب عدم قبولهم المصادقة على هذه العقيدة الجديدة.

وعقب عملية التصويت قام البابا "بيوس" PYOS التاسع رسميا بالمصادقة على عقيدة العصمة، وأصبحت حينها عقيدة من عقائد الدين المسيحي، فكان من تداعيات ذلك تعرض الأساقفة المعارضين لهذه العقيدة للعزل، مثلما جرى في جرمانيا حيث عُزل عدد غفير من أشهر علماء مدارس اللاهوت ووقفوا عن وظائفهم الكهنوتية لأنهم رفضوا هذه العقيدة الجديدة[٤١].

بعد إقرار عقيدة العصمة، قسمت الديانة المسيحية العصمة إلى نوعين: عصمة فعلية في التحديد والتعليم وهي خاصة بالبابا، وعصمة سلبية ويسمونها عصمة الخضوع والطاعة في قبول التعليم وتصديقه وهي لعموم الشعب المسيحي[٤٢].

تمّ اعتبار الكنيسة قاض معصوم في جميع مباحث الإيمان، وهي محصورة في البابا والأساقفة، أما الكهنة والعلماء وعموم الناس فليسوا ضمن دائرة الكنيسة المعصومة.

وبخصوص مصدر العصمة، فقد انقسم رجال الدين المسيحيين إلى أربعة مذاهب:

- الأول يرى أن مركز العصمة هو عموم الكنيسة، وله وجهان: الأول ينسب العصمة إلى الكنيسة المنتشرة، والثاني تنسب العصمة للأساقفة.

- أما المذهب الثاني يرى أن العصمة لجميع الأساقفة في مجامعهم سواء وافقت الكنيسة على الحكم المجمع عليه أم لم توافق عليه.
- المذهب الثالث: يرى أن العصمة هي للمجمع والبابا، وقد حصروها في أربع وجوه:
  - الوجه الأول : البابا وحده يحكم رسميا.
  - الوجه الثاني : البابا وبعض الأساقفة.
  - الوجه الثالث : البابا وحده إن قبلت أحكامه الكنيسة.
  - الوجه الرابع : البابا وبعض الأساقفة الذين يقبل حكمهم عموم الكنيسة.

أما جهة اتساع دائرة العصمة فهناك من يرى أن البعض يحصر العصمة في أمور الإيمان وتعاليم الأدب، والبعض الآخر يميز بين الحق وبين الحوادث وحوادث متعلقة بالإيمان، فيما ذهب بعضهم أن الكنيسة لم تحدد صراحة مركز العصمة[٤٣].

انطلاقا من هذه الأحداث الهامة يتضح أن الكنائس المسيحية لم تكن مجمعة على فكرة عصمة البابا وبشكل خاص تلك الكنائس المنتشرة في المشرق العربي حيث تفطنوا باكرا للآثار السلبية التي سيترتب عنها إقرار هذه العقيدة لاسيما المجتمعات المسيحية التي ستئن تحت هوى رجال الدين، ولهذه الغاية لم تتوان الفرق المسيحية المؤيدة لعقيدة العصمة من إصدار أحكام قاسية تضطهد المعارضين وتتهم بالزندقة والهرطقة والخروج عن الإجماع المسيحي. وبشكل خاص تلك الفرق المتواجد في المناطق الخاضعة للحكم الاسلامي، ومن هنا يتضح تأثر هذه الفرق ببعض الأفكار الإسلامية الداعية إلى عدم السيطرة على المجتمعات تحت عناوين "الطاعة الدينية والوقوع في الذنوب"، كما يفسر لنا أيضا ظهور حركات تصحيحية مسيحية فيما بعد تعارض بشدة طبيعة الدين المسيحي توجت فيما بعد بظهور فلسفة الأنوار بأوروبا.

المبحث الثاني: أثر العصمة على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية بالغرب الإسلامي

المطلب الأول: أثر فكر الخزرجي في موضوع العصمة على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية

شكل أبو عبيدة الخزرجي* عبر مصنفه مقامع الصلبان، أحد أبرز وجوه الحوار الديني بالغرب الإسلامي، فردوده على القسيس اللوطي شكلت نقطة تحول في علم مقارنة الأديان، فالرجل اعتمد في جداله على التوراة والإنجيل[٤٤]، وهذا دليل على مدى اهتمام علماء الإسلام في الأندلس بدراسة الكتب المقدسة ونقدها نقدا علميا، بالإضافة إلى ذلك، اعتمد الخزرجي في ردوده على ثلاث مناهج : المنهج النقلي والمنهج العقلي والمنهج التاريخي*، وهذا ما يتبين عند حديثه عن مسألة عصمة الكنيسة، والعصمة في مجال النبوات*. ومنهج الخزرجي كان له أثر كبير في الفكر الديني، سواء بالمشرق أو المغرب، فالقرافي على سبيل المثال عند حواره مع النصارى اعتمد كثيرا على أقوال الخزرجي خصوصا عند تطرقه لمسألة عصمة الكنيسة، وهو ما عبر عنه بالقول : « ولما علم حذاقهم أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه ولا أصل يرجع إليه جمعوا عقول العامة بتخييلات موهمة وأباطيل مزخرفة وضعوها في الكنائس والمزارات»[٤٥].

فهذا الإقتباس يؤكد أن الخزرجي في حقل الجدل الديني عموما، وفي مسألة العصمة خصوصا تأثر به العديد من العلماء فردوده على القس النصراني في كتابه مقامع الصلبان لفت أنظار رجال العلماء المسلمين الذين تعرضوا للرد على اليهود والنصارى كالقرطبي الذي نقل كلامه في كتابه الإعلام بما فيه دين النصارى من الفساد، الأمر الذي أدى إلى إحياء الحركة الثقافية والدينية في عهده عموما وفي مجال الحوار الديني خصوصا[٤٦].

ويجب هنا أن لا يفوتنا ذكر أن أبو عبيدة الخزرجي استفاد كثيرا من كتاب الفصل لابن حزم للرد على القضايا الجدلية بالأندلس، بما فيها مسألة العصمة،

وبالتالي فإن جهود الخزرجي تدخل ضمن إطار المناظرات غير المباشرة التي كان يمارسها الأندلسيون للدفاع عن الإسلام[٤٧].

المطلب الثاني: أثر فكر الحكيم السموآل في موضوع العصمة على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية

يدل كتاب "بذل المجهود في إفحام اليهود" على واسع علم ونظرة الحكيم السموآل*، وكثرة خبرته، فقد أظهر أثناء مناقشته لعقائد اليهود، بما فيها قضية العصمة، تناقض الأحبار وأخطائهم ومغالطاتهم، مستفيدا في ذلك من تجربته سابقا أحد كبار أحبار اليهود، ولذلك استطاع بما وصل إليه من علم بالتوراة، وسعة إطلاعه على الكتب متونا وشرحا أن يفحم علماء عصره من اليهود، ولا يزال هذا الإفحام يتصدى أحبارهم إلى يومنا هذا، وهو يتبع في ذلك طريقة " العناقلة " فيورد السؤال، ويتصور جوابه وما يمكن أن يستدرك عليه، ثم يرد على ذلك كله، ويجيب عنه : " نقول لهم ... فإن قالوا ... قلنا ... " ويورد إلى جانب ذلك نصوص التوراة[٤٨]، وهذا المنهج تكرر كثيرا عند تطرقه لعصمة الأنبياء، وما حدث من خلاف بين اليهود في قضية العصمة، والتي أدى لانقسامها. فقضية العصمة كانت حاضرة بقوة في كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود للسموآل المغربي* ، مما يؤكد حضور هذا الموضوع بقوة في الفكر الديني بالغرب الإسلامي.

المطلب الثالث: أثر فكر الحجري في موضوع العصمة على الحياة الثقافية والعلمية الفكرية

شهدت الفترة التي عاصرها أبو القاسم الحجري* ظهور مجموعة من المؤلفات النصرانية التي تناولت الديانة الإسلامية بصورة مسيئة، ومن هذه المؤلفات " ضد القرآن " لبرناندو بيريث دي سنسون، و"ذم القرآن" لأحد أبناء الدومينكان، وشعلة العقيدة في مواجهة القرآن والعقيدة الإسلامية.

وقد حاول الأندلسيون من جانبهم الحفاظ على هويتهم الدينية، فكانت كتابات المسلمين الجدلية والحوارية في فترة أبو القاسم الحجري يغلب عليها مظهران :

- الدفاع عن الإسلام ضد أقاويل النصارى، والحفاظ على الهوية الإسلامية ضد موجات التنصير الموجه للمسلمين.
- نقض العقائد الدينية النصرانية، وبيان أفضلية الإسلام على النصرانية.

وكان لهذا الجدال في الأندلس أصداء على المغرب، فحذر أبو القاسم الحجري من الرهبان الذين كانوا متواجدين آنذاك بالمغرب*، فجادل بعضهم مثل الأمير الإسباني الذي كان بمراكش حيث ناقشه في مسألة عصمة القساوسة[٤٩]، وهذا المعطى يعزز طرحنا القائل بأن موضوع العصمة قد أخذ حيزا مهما من النقاشات بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات السماوية*، فهذه القضية لطالما شكلت مدار خلاف شديد بين علماء المغرب والأندلس وأتباع الديانات السماوية، والملاحظ أن أبو القاسم الحجري اعتمد في مناقشاته وردوده على الأدلة العقلية القائمة على القياس.

ومن هنا يتبين لنا أن قضية العصمة لعبت دورا محوريا في تنشيط الحركة العلمية والثقافية والدينية، خاصة بعد سقوط الأندلس، إذ شكلت مدار خلاف بين علماء الفكر الديني.

المطلب الرابع: أثر فكر عبد الله الترجمان في موضوع العصمة على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية

استفاد عبد الله الترجمان* في معالجته لموضوع العصمة وطريقة عرضها، من خلفيته السابقة المتمثلة في كونه قسيسا تلقى دراسة في الكتاب المقدس، فعبد الله الترجمان انقطع لطلب العلم واستطاع أن يصحب فيها أساطين العلم بالديانة النصرانية، أمثال: "نقلاو مرتيل"، الذي كانت منزلته في العلم والدين عند النصارى رفيعة جدا، بالإضافة إلى هذا كله، فالرجل كان عارفا بخبايا الكنيسة، وقد استغل عبد الله الترجمان هذه الحمولة ووظفها في طريقة عرضه للعصمة وتفنيد أدلة المسيحيين في هذه المسألة[٥٠]* فقدم لإثبات صحة وجهة نظره أدلة عقلية ونقلية وأمثلة تطبيقية. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرية الفكر التي وصل إليها علماء المغرب عندما ينشرون على وجه العموم كتبا تدافع عن العقائد الإسلامية، وقد أسهم ذلك بشكل كبير في تنمية نواحي التفكير الديني

وتأكيد مبدأ التسامح وتوثيق مشاعر الألفة بين المسلمين وباقي أتباع الديانات السماوية.

المبحث الثالث: مسألة العصمة ودورها في كشف الخصوصيات بين الديانات الثلاث

يبدو أن مقاربة الدين اليهودي والمسيحي لمسألة العصمة أنتج تداعيات متتالية، فإقرار هذه المسألة ساهم بشكل مباشر في جر التيارات المسيحية الغاضبة لهذه العقيدة إلى توجيه نقد مباشر للديانتين لكونها تشكل خروجا فاضحا ونكوصا عن العقائد الثابتة.

ويبدو أن إرهاصات هذا النقد قد ابتدء داخل البيئة الإسلامية التي كانت تتمتع آنذاك بحرية النقد والتفكير حيث مكن ذلك العلماء اليهود والمسيحيين المحسوبين على البيئة الإسلامية من توجيه انتقادات لاذعة وأفكار جديدة في هذه المسألة معززين رجاحة موقفهم بدلائل من الكتب المقدسة. وقد عم هذا النقد فيما بعد البيئة الأوروبية فوجهت سهام الطعن تجاه هذه العقيدة المستحدثة. فعلى سبيل المثال نجد اسبينوزا يقف في بنية كتاب النص المقدس على مفهوم النبوة حيث تبين له أنه تراث لا يلتقي مع العقل[٥١]، وفرويد بدوره لاحظ أن الدين الجديد يشكل نقوصا ثقافيا بالنسبة للدين القديم ذلك أن الدين الجديد لم يحافظ على الروحانية ولم يعد دين توحيد[٥٢]، ومارسيل البادوني كذلك اعتبر أن الإحالة إلى العهد القديم لم يعد صالحا[٥٣].

وهذا كله مجتمعا يؤكد بشكل لا لبس فيه الطبيعة المختلفة لكل من الدين اليهودي والمسيحي والإسلامي، فالدين الإسلامي سمح مبكرا باستعمال العقل ولم يقيده لصالح فرد بذاته أو مؤسسة دينية معينة، على عكس الديانتين اليهودية والمسيحية حيث حدّا بشكل كبير من استعمال العقل وأعطوا لرجال الدين والمؤسسات الدينية سلطة عليا تتحكم في العقل وتتفوق على النص لكونهم يتمتعون بالعصمة التي اكتسبوها من أنبيائهم، الأمر الذي جرّ عليهم فيما بعد ردود فعل عنيفة أدت إلى تراجع كبير لدور الدين داخل المجتمعات الغربية ومؤسسات الدولة معتبرين النصوص الدينية وأقوال رجال الدين ليست سوى

هرطقات وخرافات. خاصة أن الفكرة الحاكمة في العهد القديم هي الحتمية التاريخية لصالح الشعب دون أثر للدور الإنساني، وذلك بسبب عصمة الحاخامات والباباوات.

ربما أدركت الكنيسة مؤخرا هذا الخلل فقامت في المجمع الفاتيكاني الثاني بتصحيح هذه الفجوة والإنفتاح على تطورات المرحلة ومتطلباتها، من قبيل الاعتراف بحقوق الإنسان والحداثة وحق الانسان في تقرير مصيره[٥٤] وأن اليهودية والإسلام فيهما قدر كبير من هداية الإنسان إلى طريق الصواب. ومن هنا يمكن القول بأن المسيحية قد مرت بثلاثة مراحل وهي: النصرانية في عهد عيسى ومسيحية بولس ثم مسيحية المجمع الفاتيكاني الثاني. وقد تموقعت عقيدة العصمة بين المرحلتين الثانية والثالثة، وساهمت بشكل كبير في تغيير طبيعة الدين المسيحي لاحقا وتحولها لما عليه الآن.

وهنا يتبين لنا الخلافات الجوهرية بين البيئة العربية والبيئة الغربية ومفصلية العقل في كل بيئة على حدى. فالاسلام منذ ظهوره سعى بشكل أساسي إلى إحداث ثورة اجتماعية وفكرية، فكان هدفه الأسمى تغيير نمط حياة الإنسان والإنتقال به من مرحلة المسؤولية الجمعية والقبيلة إلى مرحلة المسؤولية الفردية، وهذا بطبيعة الحال يتطلب توفير بيئة ملائمة تسهم في تحقيق هذا المبتغى وفي مقدمة ذلك اكتساب أهلية قانونية وذمة مالية، وتساوي كل الأفراد بعيدا عن الهرمية الاجتماعية والوساطات الدينية لتحصيل السعادة الدينية والدنيوية.

وانطلاقا من ذلك يمكن تفسير إحدى العوامل المباشرة لظهور التيار العلماني في البيئة الغربية، فأسباب ظهوره مرتبطة بطبيعة الدين اليهودي والمسيحي حيث قاموا بالحطّ من النصوص المقدسة ورهن دور العقل والتفكير لصالح رجالات الدين الذين تحكموا في المجتمعات آنذاك تحت يافطة العصمة. وهذا ما خلا منه الإسلام ووجّه علماءه ومفكريه مبكرا سهام النقد له قبل ظهور الحركات الدينية الإصلاحية وفلاسفة الأنوار بأوروبا، وبذلك يكون العهد القديم مكون أساسي من مكونات الثقافة الغربية فأنتجت له مفاهيم عديدة من بينها المفاهيم

المرتبطة بالعصمة والعقل والفكر، وهذا يجرنا للقول بأن لكل بيئة مفاهيم خاصة وسياقات معينة ينبغي دراستها انطلاقا من هذه الدوائر. خاصة إذا وضعنا في الحسبان أن الأديان هي حاضنة الهويات وأن أصول الحضارات الكبرى ديانات.

النتائج والتوصيات

- إقرار عقيدة العصمة أثّر جذريا في طبيعة الديانة اليهودية والمسيحية حيث تم التحكم في الفرد تحت مسمى عصمة "رجال الدين".
- معارضة الفكر الإسلامي بالمطلق لهذه العقيدة كونها تعد انحرافا فاضحا عن أصول الديانتين.
- جلب إقرار عقيدة العصمة على الفكر الديني بالغرب ردود فعل عنيفة على كل ما له علاقة بالدين فانبثقت مدارس فكرية وفلسفية هدفها الأساسي نقد النصوص الدينية وكشف التناقضات بينها
- يؤشر الاختلاف بين الدين الإسلامي وباقي الأديان السماوية في هذه المسألة على خصوصية الإسلام وتبنيه نهجا منفتحا يمكن الفرد من حرية التفكير والإستخلاف في الأرض .
- اهتمام علماء الغرب الاسلامي بقضية العصمة يؤكد معرفتهم العميقة بعقائد الديانات السماوية الأخرى وما يعزز هذا الطرح تمكن لاهوتيي اليهودية والمسيحية من إبداء آرائهم في هذه المسألة سواء بالتأييد أو المعارضة دون تعرضهم للمضايقات.

المراجع

[١] سعد بن منصور بن كمونه، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث "اليهودية المسيحية الإسلام "، مكتبة دار الأنصار للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الثانية، صفحة ٤٧.

[٢] سفر الخروج ٣٢/ ١ - ٦.

[٣] سفر الملوك الأول١١/١ - ١١.

[٤] سفر التكوين ٢٠/٩ - ٢٨ .

[٥] سفر التكوين ١٩/ ٣٠ - ٣٨.

[٦] سفر صموئيل الثاني١١/ ٢- ٣- ٤ .

[٧] فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، الطبعة الأولى، مصر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤ م، صفحة ٧٢٩ .

[٨] المصدر نفسه، ص ٧٣١.

[٩] فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٧٣١.

[١٠] المصدر نفسه، ص ٧٣١.

[١١] يوسف نصر الله، الكنز المرصود في قواعد التلمود، طبعة المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٨٩٩م، صفحة ٣٤

[١٢] المصدر نفسه، ص ٣٤ - ٣٥.

[١٣] المزمور ٩/٧٤ .

- هو أبي عمران موسى بن ميمون عبيد الله، ويعرف عند الأوروبيين بـ MAiMONDESويسميه اليهود ربينو موشيه بن ميمون، ولد في ٣٠ مارس ١١٣٥ م / ٥٣٠ هـ في قرطبة، عاش متنقلا بين مدن المغرب العربي وشمال إفريقيا حتى استقر بمصر وتوفي بها.

- يحصر ابن ميمون صفات العصمة فقط في النبي موسى، لأن اسم النبي يطلق على موسى وحده، أما ما عداه من الأنبياء فيطلق عليهم بتشكيك: (أما الدليل الشرعي على كون نبوته مباينة لكل من تقدمه، فهو قوله تجليت لإبراهيم إلخ .. وأما أسمى يهوه فلم أعلنه لهم فقد أعلمنا أن إدراكه ليس كإدراك الآباء بل أعظم، أما مباينتها لنبوة كل من تأخر فهو قوله على جهة الإخبار، ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجها إلى وجه، فقد بين أن إدراكه مباين لإدراك كل من يتأخر بعده في إسرائيل). للمزيد أنظر، موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، تحقيق حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، الجزء الثاني، صفحة ٣٩٨.
- يقول ابن ميمون: «تصحب المرء معونة إلهية تحركه تجاه فعل الخير، والمحرك أو الدافع لذلك يسمى روح الله، وهذه درجة قضاة بني إسرائيل ونصارى إسرائيل الفضلاء كلهم. وهذه القوة (روح الله – روح القدس). لم تفارق موسى منذ بلوغه حد الرجال، وهي التي تحرك المؤيد لفعل ما لنصرة مظلوم مثلا ولا يقال عن شخص ما صحبته روح الله إلا عندما يفعل فعلا خيرا له قدر عظيم أو ما يؤدي إلى ذلك». للمزيد أنظر، موسى ابن ميمون، دلالة الحائرين، ٤٣٧/٢.

[١٤] إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، الطبعة الأولى، ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦م، صفحة ٦٢ - ٦٣.

[١٥] فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٦٨٠.

[١٦] المصدر نفسه، ص ٦٨٠ - ٦٨١.

- يهود بن شموئيل هليفي، كنيته بالعربية أبو الحسن اللاوي، ولد عام ١٠٧٥ م، في مدينة تطيلة أحدى مدن ولاية سرقسطة تلقى يهود اللاوي تعليما عاليا، فدرس الطب والفلسفة اليونانية والعربية في قرطبة، ودرس العلوم الدينية والتلمود على يد إسحاق الفاسي في مدينة أليسانا ، أتقن العربية وانبهر بالأدب العربي، توفي في مصر عام ١١٤١ م.

[١٧] يهودا ابن شموئيل هليفي، الحجة والدليل في نصر الدين الذليل، ترجمة إبراهيم أبو المجد، إشراف ومراجعة حسن حنفي وأحمد هويدي، القاهرة - المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، صفحة ١١- ١٢.

- يقول هليفي: (وكان بنو إسرائيل قد وعدوا بأن ينزل إليهم من عند الله أمر يرونه ويؤمونه كما أمروا عمود غمام والنار حين خروجهم من مصر، ويسيرون إليه ويعظمونه ويستقبلونه ويسجدون نحوه لله تعالى وكذلك كانوا يؤمنون عمود الغمام الذي ينزل على موسى طول مخاطبة الله له، فيقف بنو إسرائيل ويسجدون نحوه لله تعالى، فلما سمع القوم خطاب الكلمات العشر، وصعد موسى إلى الجبل ينتظر اللوحين لينزلهما مكتوبين ويصنع لهما الثابوت فيكون لهم قبلة مرئية فيها العهد الالهي والاختراع الرباني، أعني اللوحين سواء ما اتصلت بالتابوت من الغمام والأنوار وما ظهر بتوسطه من المعجزات، وبقي القوم منتظرين نزول موسى ، وهم على حالهم لم يغير زيهم وحلاهم وحللهم التي عيدوا بها يوم الطور بل بقوا بهيئتهم ينتظرون موسى مع اللحظات، فأبطأ عنهم أربعين يوما وهو لم يتزود، ولا فارقهم إلا على نية الانصراف من يومه، غلب سوء ظن بعد ذلك على بعض الجمهور ذلك الجمهور العظيم وبدت العامة تتفرق فرقا وتكثر الآراء والظنون حتى لجأ قوم منهم إلى أن طلبوا معبودا يؤمونه كسائر الأمم من غير أن يجحدوا ربوبية من أخرجهم من أرض مصر، بل لأن يكون ذلك موصفا لهم يسيرون إليه، إذا وصفوا عجائب ربهم كما فعل المؤمنون بتابوت من سبعة قائلين إن الرب هناك، وكما نفعل نحن بالسماء وبكل أمر نتحقق أن حركته إنما هي بمشيئة الله دون اتفاق ولا إرادة إنسان ولا طبيعة، فخطأهم كان في التصوير الذي منعوا عنه وفي أنهم نسبوا أمرا إلهيا لشيء مصنوع بأيديهم واختيارهم دون أمر الله، وعذرهم في ذلك ما تقدم من التشتت الواقع بينهم، ولم ينته الذي عبدوه نحو ثلاثة آلاف من جملة ستمائة ألف، وأما عذر الخاصة المساعدين في عمله فكان لغرض عسى أن يظهر العاصي من المؤمن ليقتل العاصي العابد للعجل، وكان في ذلك عليهم

نقد، إذ أخرجوا العصيان من القوة والضمير إلى حد الفعل فلم يكن ذلك الذنب خروجا عن جملة طاعة من أخرجهم من مصر، لكن خالفوا بعض أوامر، فإنما الله تعالى نهى عن الصور فاتخذوا صورة، وكان لهم أن يصبروا، فالقوم لم يكن قصدهم الخروج عن الطاعة، بل مجتهدون بزعمهم في الطاعة، ولذلك قصدوا هارون وقصد هارون كشف سريرتهم، فساعد في عمله وأدركته الملامة لإخراجه عصيانهم من القوة إلى الفعل) للمزيد أنظر، الحجة والدليل، ص ١٥٤- ١٥٥- ١٥٦.

- يقول هليفي: (أنها ذنب شنه عليهم لجلالتهم، وأن الجليل هو من عدت خطاياه، وأن بني إسرائيل أشرف الأقوام فقد اتخذهم الله أحزابا وأمما من بين ملل العالم، وحل فيهم الأمر الإلهي في جماهيرهم حتى وصل جميعهم إلى حد الخطاب، وتخطى الأمر إلى نسائهم، فكان منهن نبيات بعد أن كان الأمر لا يحل إلا في أفراد من الناس من لدن آدم، فإن آدم هو الكامل دون استثناء. إذ لا عذر في كمال صنعة من صنائع حكيم قادر) للمزيد أنظر، الحجة والدليل، ص ١٥٣.

[١٨] يهودا هليفي، الحجة والدليل، ص ١٢٧ و ١٥٢.

- يقول هليفي: (الإنسان الذي تهيأت له استعدادات يقبل بها الفضائل الخلقية والعلمية والعملية، لم ينقصه شيء من الكمالات، التي يجب أن تترجم إلى أفعال، فتظهر الهيأة على ما هيئت لها من كمالات، والكامل يتصل به من النمط الإلهي نور يسمى العقل الفعال، يتصل به عقله المنفعل اتصال اتحاد حتى يرى الشخص أنه هو ذلك العقل الفعال، وتصير أعضاء ذلك الشخص لا تتصرف إلا في أكمل الأعمال وفي أوفق الأوقات وعلى أفضل الحالات، وكأنها آلات للعقل الفعال، لا للعقل الهيولاني المنفعل الذي كان من قبل أن يصرفها، فكان يصيب مرة ويخطئ مرات، وهذا يصيب دائما، وهذه الدرجة الغاية القصوى المرجوة للإنسان الكامل بعد أن تصير نفسه متطهرة من الشكوك محصلة للعلوم على حقائقها فتصير كأنها ملك، فتصير بأدون رتبة من الملكوتية المفارقة للأجساد وهي رتبة العقل الفعال، وهذه رتبة يصل

إليهـــا الإنســـان الكامـــل تســـمى " رضـــى الله "، وهـــي معونـــة تصـــل بصـــاحبها إلى إصابة الحق). للمزيد أنظر، الحجة والدليل، ص ١٢٦- ١٢٧.

[١٩] يهودا هليفي، الحجة والدليل، ص ٧-٨-٩-١٠.

[٢٠] رسالة إلى أهل رومية، ١/٤-٥-٧.

[٢١] رسالة إلى أهل رومية، ٥/١١-١٢.

[٢٢] رسالة إلى أهل كورنثس، ١/٧-٨-٩.

[٢٣] إشعيا ٦/٩

[٢٤] المزامير ١/١١٠.

[٢٦] بطرس ٢٢/٢

[٢٧] مزمور ٧/٤٥.

[٢٨] رسالة العبرانيين ٢٦/٧

[٢٩] بطرس ١٩/١.

[٣٠] رسالة إلى العبرانيين ٢٦/٧.

[٣١] رسالة على أهل كورنثس ٢١/٥.

[٣٢] يوحنا ٤٦/٨.

[٣٣] حمـــدي عبـــد العـــال، الملـــة والنحلـــة فـــي اليهوديـــة المســـيحية الإســـلام، دار القلـــم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م، صفحة ١٢٠.

[٣٤] سوســـنة ســـليمان، فـــي أصـــول العقائـــد والأديـــان، وهـــو المبحـــث الرابـــع مـــن المقالـــة الثانيـــة مـــن كتـــاب زبـــدة الصـــحائف فـــي أصـــول المعـــارف، بيـــروت ١٨٦٢م، صـــفحة ١٥٤.

[٣٥] يوحنا لورنس فان موسهيم، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٨٧٥م، صفحة ٧٦٢.

[٣٦] المصدر نفسه، ص ٧٦٣.

[٣٧] المصدر نفسه، ص ٧٦٤-٧٦٥.

[٣٨] يوحنا لورنس فان موسهيم، تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة، ص ٧٦٣ بتصرف .

[٣٩] المصدر نفسه، ص ٧٦٣ .

[٤٠] يوحنا لورنس فان موسهيم، تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة، ص ٧٦٤ .

[٤١] المصدر نفسه، ص ٧٦٤.

[٤٢] يوحنا لورنس فان موسهيم، تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة، ص ٧٦٥

[٤٣] المصدر نفسه، ص ٧٦٥-٧٦٦.

[٤٤] عبد الرحمن الطيب، أبو عبيدة الخزرجي وجهوده في مجادلة النصارى بالأندلس من خلال كتابه مقامع الصلبان، تقديم سعيد كفايتي، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤ م، صفحة ٢٩.

[٤٥] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١، صفحة ٢٦٨.

[٤٦] المصدر نفسه، ص ٢٦٠ .

[٤٧] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ، ص ١١٩ .

- هو السمؤال بن يحيى بن عباس المعروف بالمغربي ولد بفاس ١١٣٠ م، وتوفي ١١٨٠ م، عالم رياضي وطبيب، كان أبوه من كبار الحاخامات،

أشهر إسلامه ١١٦٥ م بمراغة، له عدة مؤلفات من أهمها بذل المجهود في إفحام اليهود

[٤٨] السموءل بن يحيى بن عباس المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، تحقيق وتعليق، عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، ١٤١٠ هـ/١٩٧٩م، صفحة ١٠ - ١١ .

- عن عصمة الحاخامات والفقهاء اليهود يرى الحكيم السموأل أن موضوع العصمة أحدث اختلافا وتفرقة بين رجال الدين اليهود. فالمنشا والتلموديون والربانيون يزعمون أن الفقهاء إذا اختلفوا في المسائل والقضايا المتعلقة بالأمور الدينية، فإن الله يخاطبهم في كل مسألة ويوحي إليهم بصوت يسمعه جمهورهم يقول الحق في المسألة مع الفقيه فلان، وهم يسمعون الصوت " بث قول". هذا الأمر انتقده اليهود القراؤون – وهم أصحاب عانان وبنيامين – واعتبروها أمورا شنيعة وافتراء وكذبا، وقالوا بعد أن ثبت كذبهم على الله، وأنهم قد ادعوا النبوة، وزعموا أن الله كان يوحي إليهم جميعا في كل يوم مرات، قد فسقوا ولا يجوز قبول شيء منهم، بالتالي خالفوهم في سائر ما ألفوه من الأمور. ويرى الحكيم السموآل أن القراؤون، أكثرهم خرج إلى دين الإسلام ولم يبق منهم إلا نفر يسير، لأنهم أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام للهروب من محاولات الفقهاء الربانيين الذين شددوا على جماعاتهم وادعوا صفات بعيدة عن مهمتهم . للمزيد أنظر، السموءل بن يحيى بن عباس المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧.
- هو شهاب الدين أحمد بن قاسم الحجري المعروف بأفوقاي ولد بالأندلس سنة ١٥٦٩، ينتسب إلى قرية الحجر إحدى قرى غرناطة، هرب من إسبانيا ولجأ للمغرب في عهد الدولة السعدية، انقطعت أخباره بتونس بعد سنة ١٦٤٠ م.
- يقول الحجري:(وما قولكم في دينكم في رجل زنا بامرأة محصنة وحملت منه وولدت، وزوج المرأة يعتقد أن المولود كان ابنه حتى كبر وزوجه وأعطاه حظا من ماله، واشتكى يوم الحساب لله سبحانه من زوجته وممن

زنا بها والمال الذي أنفق وأعطي لابن الذي زنا بها، فأحضر الزاني والزانية وقيل لهما في ذلك، فقالت المرأة : أنا ذكرت ذنبي للقسيس الفلاني وغفر لي، وقال الزاني : أنه ذكر ذنبه للقسيس في الدنيا وغفر له ذنبه. والسؤال منكم أيها الراهب العالم في دينه هل بقي للرجل المظلوم ما يطلب أم لا ؟ وكتب الجواب وقال: ليس للرجل ما يطلب من زوجته ولا ممن زنى بها بعد استقرارها في الدنيا للقسيس من الذنوب لأنه غفر لهما، ولم يبق للزوج حق عليهما. فأنظر هذا الاعتقاد الفاسد الذي عندهم في دينهم، يذكرون للقسيس جميع ذنوبه ويعطيه براءة بالمغفرة، ويأخذ الدراهم عليها، حينئذ يذهب مغفورا له، وفي سائر الأيام إذا كان مريضا يمشي إليه القسيس إلى بيته ويغفر له). أنظر، أحمد بن قاسم الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين، تحقيق وترجمة قاسم السامرائي وآخرون، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، صفحة ١٦٠ -١٦١.

[٤٩] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، ص ٩٩.

- يقول الحجري في هذه المسألة: (والتقيت بأمستردام بلفنضس بحبر مفتي اليهود، مشى إليهم من بلاد المشرق، وقال لي : - في أثناء الكلام عن سيدنا موسى عليه السلام – أنه عمل ذنبا عظيما. قلت له : الأنبياء عليهم السلام منزهون عن الذنوب، وكيف تقول أنت هذا الكلام ؟ قال : نعم، لأنه كان يوبخ بني إسرائيل، ويقول فيهم : أنهم قوم قاسحون، لأنهم أهل الله، ولا علت درجته عند الله تعالى إلا بسببهم. وهذا برهان فيما قلنا : أن فيهم الكبر، حتى أنهم يعظمون أنفسهم على أنبياء الله تعالى») أنظر، الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين، ص ١٣١.
- هو أبو محمد عبد الله بن عبد الله الترجمان الميروقي، ولد في ميروفة سنة ١٣٥٥ م، كان قسا نصرانيا إسمه إنسلمتورميدا، حينما أسلم ألف عدة كتب منها : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، توفي بتونس سنة ١٤٢٣ م.

[٥٠] أبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفيق الداعوق، طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م، صفحة ٢٥- ٢٦ .

- والنصارى يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس، وأن كل من يخفي عنه ذنبا واحدا فلا ينفعه إقراره، فهم في كل سنة عند صيامهم يمشون إلى الكنيسة ويقرون بجميع ذنوبهم للقسيس الذي يقوم بكل كنيسة وفي سائر أوقاتهم لا يقر أحد بذنب إلا إذا مرض وخاف الموت، فإنه يبعث إلى القسيس فيصل إليه ويقر له بجميع ذنوبه فيغفرها لهم. وهم بهذا يعتقدون أن كل ذنب يغفره القسيس فإنه مغفور لمنزلته العظيمة عند الله تعالى. فمن أجل ذلك صار البابا الذي يكون بمدينة رومة، وهو خليفة عيسى في الأرض يعطي لمن يشاء براءة غفران الذنوب والتسريح من النار ودخول الجنة، وكذا يفعل في كل ما ينوب عنه في جميع أرض النصارى من القسيسين يعطون البراءات بالمغفرة وإيجاب الجنة والنجاة من النار، ويأخذ النصارى هذه البراءات بعد أن يعطوا عليها لمن يكتبها لهم المال الجزيل فيخبؤنها عندهم، حتى إذا مات أحدهم جعلت تلك البراءة معه في كفنه واعتقادهم يقينا أنهم يدخلون الجنة بتلك البراءات، وهذا من حيل القسيسين، فيقال لهم لأي شيء تصنعون هذا ؟ ولم يأمركم به عيسى ولا هو منصوص في شيء من أناجيلكم، وابن الله أقرب إلى الله على قولكم لمغفرة الذنوب من جميع القسيسين. ثم إن القسيس لا شك عندكم في أنه بشر مثلكم وربما تكون له ذنوب أكثر من ذنوبكم لا سيما تكفيركم برأيه، وإضلالكم فمن هو الذي يغفر الذنوب ؟ يقول الله تعالى في كتابه العزيز «إن الله لا يغفر أن يشرك به»، فإذا كانت مغفرته لكم محالا بخبره الصادق فمغفرة القسيس أشد من المحال، وأقرب لسخرية الشيطان وجنوده منكم واستهزائه بكم «ومن يغفر الذنوب إلا الله». أنظر، أبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١.

[٥١] باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠م، صفحة ١٦١ - ١٦٢.

[٥٢] سيغموند فرويد، موسى والتوحيد، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦م، صفحة ١٢٣

[٥٣] جوزيف لوكلير، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ترجمة جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، صفحة ١٣٢

[٥٤] البيان المجمعي "الحرية الدينية"، ١٩٦٥م، رقم ٧.